مازلنا أسرى للمعتقدات التنويرية بخصوص "المسؤولية السياسية للمثقفين" ـ إذا نحن سعينا لردم الهوة بين الخاصّ والعامّ؛ ٤) و بما أنّ الطروحات الوحيدة التي يُحسب لها حساب هي تلك التي تملك قدراً معيناً من زخم الإجماع فإنّ "التضامن" (وليس النقد) هو أفضل وسيلة ـ بل الوسيلة الوحيدة ـ للرفع من شأن الصالح العامّ. إنّ أية فجوة تنشأ، على سبيل المثال، بين رؤية جورج بوش لدور أمريكا في "النظام العام الجديد" وبين برهان مؤمرات التدخّل الأمريكي في الخليج وغيره من المناطق ستكون مجرّد قضية تلاؤم حساسة من قبل أولئك الأفراد الضليعين الذين تعلموا أن لايخلطوا بين قضايا الضمير الأخلاقي وبين مسائل المشروعية في الإطار السياسي ـ العامّ. وهكذا، ففي مجتمع رورتي المثالي، كما يشير ايغلتون، "سيتحوّل المثقفون إلى ساخرين يمارسون موقفاً ارتكاسياً متعجرفاً حيال معتقداتهم، في حين أنّ عامّة النّاس، ممن قد تمثّل السخرية الذاتية سلاحاً كابحاً بالنسبة لهم، سيظلّون يحيوّن العلمَ ويأخذون الحياة على محمل الجدّ."(١٣)

يبدو لي أنّ هذا تعليق موضوعي على نتائج موقف رورتي عندما يُطبّق على حرب الخليج وعلى تغطيتها في وسائل الإعلام العامة، وعلى موقف العديد من المثقفين الذين كشفوا كذب دعاية "الحلفاء" لكنهم فشلوا باتخاذ موقف يستند إلى أرضيات أخلاقية أومبدئية. لكن ثمة باعث آخر أكثر مصداقيةً للتنصّل من تطبيق معايير النقد "التنويري" على حالة بدت وكأنها تتحدّى آخر ادعاءات الحقيقة، وآخر قيمة أو مبدأ للخطاب الإثنو ـ مركزي الغربي. يعلّق كيفن روبينز على هذه القضية في مقالة نشرها في مجلة (*Marxism Today*) والتي اتخذت منطلقاً لها اتهام ادوارد سعيد القوي للطريقة التي عملت فيها التصورات الأروبية والأمريكية "للشرق" على اختراع صورة قالبية أو نمطية (*stereotyped*) "للذهنية" العربية ـ بوصفها لاعقلانية، طاغية، جامدة، مزاجية بشكل صارخ، الخ ـ تكون نقيضاً لنماذجهم المتفوقة عن العقل "الكوني" الواثق من نفسه. هذا التشخيص الذي يدين أولئك الذين